مدينة زويلة منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط مملكة بني الخطاب (22هـ/642 م-568هـ/1172م)

د. فاطمة عليّ محمد احويلات ـ قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة سبها.

المُلخّـــص:

يتنـــاول البحث مدينـــة زويلة منذ الفتح ، وحتى نهاية مملكة بني الخطاب 22-/568 هـ ، هو التي تعتبر أهم المدن الليبية التي وقعت في أقاليم فزان ، باعتبارها أول قاعدة إسلامية في فزان ، ومركز الانطلاق لفتح بقية الأماكن ، وترتكز هذه الدراسة على أهمية ودور زويلة ، فهي حلقة وصل بين مناطق الشرق والشمال وجنوب الصحراء ، خاصة في الجانب التجاري ، ونشر الإسلام واللغة العربية، ومن الأهمية بمكان إبراز مكانتها المستحقة.

الكلمات المفتاحية:

زويلة ، بني الخطاب، التجارة الداخلية، التجارة الخارجية، العامل الديني.

ABSTRACT

This study talk about Zuwaila city since occupation till the end of Bin Khattab Kingdom 22-568 of the hegira, which suppose to be the tnost important Libyan cities in Fezzan. It played an important role in that period as one of the Islamic base in Fezzan and the centre of darting to conquest a new places.

This study based on the importance and the role of Zuwaila that represent the connection between the east, north, and south of Sahara especially in commerce and spreading Islam and Arabic language so that is important to represent its essential role.

Opening words: The interior trade in Zuwaila Bin Khattab - The Foreign Trade The religious aspect.

المُقدمـــــــة:

لعبت زويلة دوراً في تاريـخ ليبيا لا سيما الإقليم الجنوبي ، وقد بـرز دورها منذ الفتح الإسلامي 22هـ/642م ، أي : منـذ أن فتحها عقبة بن نافع ، واتخذها قاعـدة لنشر الإسـلام في الصحراء الليبية ، ومناطـق ما وراء الصحراء ، وتعتبر عاصمة إسلامية في الصحراء الليبية ، بعد تأسيسها على يد قبيلة الهوارة، نظراً لموقعها على ملتقى الطـرق في الصحراء وأحـد المداخل إلى بلاد السـودان الأوسط فقد كان لها دوراً هاما في الحركة التجارية بين مناطق الشمال ومناطق ما وراء الصحراء، كما أسهمت

في الصحراء الليبية ، بعد تأسيسها على يد قبيلة الهوارة، نظراً لموقعها على ملتقى الطـرق في الصحراء وأحـد المداخل إلى بلاد السـودان الأوسط فقد كان لها دوراً هاما في الحركة التجارية بين مناطق الشمال ومناطق ما وراء الصحراء، كما أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية للشعوب ما وراء الصحراء في العصور الوسطى.

أسباب اختيار الموضوع :

الرغبة في البحث عن تاريخ ودور مدينة زويلة، أحد المدن الليبية المهمة في العصر الإسلامي ، والتي لعبت دوراً بارزاً بالرغم من وقوعها في إقليم صحراوي جنوب ليبيا، ارتبطت بعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية مع مناطق الشمال وجنوب الصحراء، وتمكنت من إحكام سيطرتها على التجارة الصحراوية فكانت حلقة وصل تربط بين الشمال والجنوب منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط مملكة بن الخطاب. بالإضافة إلى ذلك التعرف على دورها في نشر الإسلام والثقافة العربية في مناطق دول الجوار.

إشكالية الدراسة:

ترتكز هذه الإشكالية في إلقاء الضوء على هذه الحقبة التي لم تزل غامضة من تاريخ فتح زويلة وحتى سقوط مملكة بني الخطاب ، وذلك بالبحث باعتبارها من الفترات المهمة في التاريخ الاقتصادي والديني لليبيا عامة ومدينة زويلة بصفة خاصة، وإنها تعج بالأحداث والتطورات السياسية والاقتصادية والدينية. واظهار دورها التجاري والديني منذ الفتح وحتى سقوط مملكة بني الخطاب، فمدينة زويلة تحتاج الى المزيد من البحث والدراسة للحصول على المصادر والمراجع التاريخية.

تساؤلات الدراسة:

تطرح هذه الدراسة جملة من التساؤلات:

متى نشأت مدينة زويلة؟ وما هي أهميتها الجغرافية؟ وما أسباب ازدهار الطرق التجارية بينها وبين مناطق ما وراء الصحراء؟ وأين قامت مملكة بني الخطاب؟ وما هي أهم مواردها الاقتصادية؟ ولماذا اهتمت مملكة بني الخطاب بالتجارة؟ وهل كان لمملكة بن الخطاب دور في نشر الإسلام واللغة العربية؟

أهداف الدراســـــة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور ونشاط مدينة زويلة التي كانت لها مساهمة في بناء وإشعاع الحضارة الإسلامية في مناطق الجنوب وما وراء الصحراء، وذلك من خلال

موقعها في نشر الإسلام والثقافة العربية ، وتجارة القوافل عبر الصحراء، فأصبحت مركزاً سياسياً وحضارياً منذ وصول الإسلام إليها وحتى سقوط مملكة بني الخطاب.

كما تسعى هذه الدراسة لإيضاح الصورة الأقرب إلى الدّقة عن هذه الحقبة التاريخية ، وقد أسهم بعض الباحثين في كشف جوانبها إلا إنها لا تزال تتطلب المزيد من البحث والتقصي.

أهمية الدراسة:

تعود أهمية دراسة مدينة زويلة في عهد بني الخطاب بدورها البارز ، خاصة في العلاقات التجارية والثقافية مع بلاد السودان ، وما نتج عنها من تواصل أدّى إلى تحسّـــن العلاقات مع الأطـــراف ذات الصلة وتأثر اقتصادي وازدهار تجاري وتوسّـــع في نشر الإسلام واللغة العربية ، في مناطق ما وراء الصحراء ، كما أنّ هذه الدراسة تهتم بدراسة تاريخ ليبيا الإسلامي عامة ، وتاريخ فـــزّان خاصة، وهذا يعطيها أهمية بالغة من جوانب كثيرة.

الدراسات الســـــابقة:

1- كتاب محمد سليمان أيوب : بعنوان (مختصر تاريخ فزان) الذي نشرته المطبعة الليبية سنة 1968م والذي يتضمن فترة المملكة الجرمنتية في فزان ، ويعتبر من أهم المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة .

2- دراســـــــة : (رسالة ماجستير للباحث بشير أحمد طروم بعنوان: مدينة زويلة منذ الفتح العربي الإسلامي حتى سقوط دولة بني الخطاب ، دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، جامعة السابع من أبريل – كلية الآداب والعلوم بيفرن ليبيا 2001م, بالرغم من أنّ هذه الرسالة تختص مدينة زويلة ؛ لأنّها لم تسلط الدراسة السابقة الضوء بصفة شمولية عن مدينة زويلة، لاسيما دورها الحضاري.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي (التاريخي).

مجال الدراسة يتضمن الآتي :

المجال الزمني : العصر الإسلامي، من القرن الأول الهجري وحتى القرن السادس الهجري/ من القرن السابع الميلادي حتى القرن الثاني عشر الميلادي.

المجال الجغرافي : جنوب ليبيا (مدينة زويلة والمناطق المحيطة بها).

قامت هذه الدراسة على محاور تتضمن عدة عناصر:

التمهيد: لمحة جغرافية عن مدينة زويلة من حيث موقعها ونشأتها وسكانها خلال العصور الإسلامية.

قسمت الدراسة الى ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول ـ الإدارة في زويلة حتى فترة مملكة بني الخطاب : تضمن هذا المبحث عدة عناصر: مدينة زويلة والفتح العربي الإسلامي، فتح زويلة، الأوضاع الإدارية والسياسية لزويلة بعد الفتح، مدينة زويلة في عهد أسرة بني الخطاب حتى سقوطها على يد قراقوس، وفي المبحث الثاني: دور زويلة في نشاط التجارة بالمنطقة، تضمن هذا المبحث عدة عناصر: تجارة القوافل، التجارة الداخلية، التجارة الخارجية، السلع المستوردة، النظم التجارية في تلك الحقبة، والمبحث الثالث: الدور الحضاري في مدينة زويلة تضمن هذا المبحث عدة عناصر: العامل الديني والثقافي، عامل التجارة، الهجرات، الحج. وختمنا هذه الدراسة بجملة من النتائج.

التمهيد ـ لمحة جغرافية عن مدينة زويلة (الموقع، النشأة، السكان):

موقع زويلة : زويلة هي أحد مدن إقليم فزان في جنوب ليبيا ، تقع إلى الشمال من خط عرض 26 ، وإلى الشرق من خط طول 15شرقاً، وهي الواقعة في الجزء الشرقي لحوض مرزق[1]. وتبعد عن مدينة مرزق 140ك م ، ومن طرابلس 1300ك م وعن تراغن 80كم ، وهي واقعة في السهل الصحراوي، حيث الشمال بعض الهضاب والجبال ومن الجنوب الرمال الفاصلة بينها وبين القطرون ، ويحدها من الغرب مسوقين ، ومن الشرق تمسة(*) [2]. **وتعتبر** مدينة زويلة من أهم مواقع التراث الإسلامي في ليبيا، كما تُعد من أقدم المراكز التجارية جنوب طرابلس، وكانت تربط بين موانئ البحر المتوسط ومملكة كانم – برنو، وظلت مركزاً تجارياً مهماً أيضاً ومحطة للتجارة مع السودان، تتفرق القوافل التجارية منها إلى جميع الاتجاهات الشمال الأفريقي(3). ونظرا لموقعها الجغرافي على طول طرق القوافل التجارية شمالا وجنوبا، فقد شهدت جملة من الأسواق ومنها يدخل المسافر إلى بلاد السودان، وتشتهر زويلة بكثرة تمورها.[4] وبمدينة زويلة حصن قديم مبني بقوالب ضخمة من الطوب البن، وإلى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة يوجد بقايا المسجد العتيق الذي لم يتبق منه سوى جزء من الحائط الشرقي والمنارة، كما كانت توجد في الجهة الشرقية قبور تتكون من سبع أضرحة ، وهذه القبور هي مدافن الخطاب (سلاطين زويلة)[5].

نشأة زويلة : إنّ مدينة زويلة هي أحد المدن القديمة حيث ذكرت في عديد من كتابات المؤرخين القدامى عند تناولهم الحديث عن إقليم فزان، فقد ذكرها بليني في القرن الأول

ميلادي، خلال رحلته إلى الأراضي الليبية[6] وتعرف على بعض المدن والواحات الداخلية، ومن ضمن الأسماء التي ذكرت عنده اسم كيبا Ciliba ، ويرى بعض الباحثين أنّ هذا الاسم لعله يقصد به زويلة[7]، الفترة ما بين 350م وإلى 642م. قد نتساءل ما هي الدواعي في إنشاء هذه المدينة؟ يذكر البعض أن إنشاء زويلة يرجع إلى قبيلة هوارة وهي من القبائل التي كانت تسكن سواحل سرت، وقد أقامت عاصمة لها في زلة [8]، إلا أن البيزنطيين في أثناء صراعهم مع السّكان المحليين هاجموا هذه البلدة ودمروها ، فهاجر الهواريون بجمالهم للصحراء حيث أقاموا لهم مركزاً جديدا في زويلة، وكذلك قبائل مزاتة أنها كانت تسكن في سواحل سرت، تم نزوحها كذلك من البيزنطيين للداخل، فاستقروا في واحة ودان، وأخذت في امتدادها للغرب حتى الحماده الحمراء، لا شك أن هذه القبائل تمت تحركاتها على حساب مملكة جرمة[9] الوثنية، التي كان عاصمة فزان من القرن الأول الميلادي، والتي اشتبكت مع قبائل البربر في الشمال في عدة معارك [10]. ففي الفترة ما بين 350م وإلى 642م تراجع دور جرمة، وبدأ دور زويلة بمسميات عدة فمنها كنوسوس الصحراء، شيلالا CHALA زويلة ZUAlLA سيلالا الرومانية [11]، ولكن رُبَّ سائل يقول لم سميت زويلة بشيلالا؟ زويلة اسمها القديم، ويطلقه عليها السكان الأصليين الذين يسكنون خارج الحصن الروماني، أما شيلالا فقد أطلقه الرومان الذين يسكنون الحصن [12]. وقد برز ذلك في خطاب فتح زويلة، أهل الصلح وهم البربر، وأهل الذمة وهم الرومان. وسميت زويلة بعد الفتح الإسلامي بلد الأشراف، كما سميت بزويلة بن الخطاب، وعبَّر عنها بعض الكتاب بزويلة السودان، احترازاَ عن زويلة أفريقية التي بناها عبيد الله المهدي قرب تونس.[13]

سكان زويلة : لم تذكر المصادر الأولية أنماط السكان وتوزيعهم بالحرف والأنشطة التي يمارسونها[14]، وإنما مدينة زويلة تعتبر منطقة عبور القوافل التجارية، بين مناطق الشمال والجنوب. بها وفرة المياه، مما جعلها منطقة استقرار تجدب إليها، الكثير من الجماعات والأفراد، بهدف الإقامة والاستقرار، أو هروباً إليها من أوضاع اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، فتجد في هذه المدينة البعيدة الأمن والطمأنينة، وفرص العيش الكريم، وبما أن زويلة منطقة التقاء واستقرار جماعات بشرية مختلفة، فقد سكنت زويلة إلى جانب سكانها الأصليين الروم والبربر والعرب التي قدمت من مناطق الشمال، بالإضافة إلى العناصر الزنجية التي قدمت من مناطق الجنوب، أي من وراء الصحراء[15]. ويعد الروم أهم العناصر التي استقرت في العديد من مدن فزان، واندمجت مع السكان الأصليين، بعد دخول الإسلام إلى مناطق فزان وخاصة زويلة

22هـ/642م. لقد ذكر اليعقوبي فزان وودان[16] وزويلة أنّ سكان فزان يتكونون من "أقوام ولهم رئيس وسكانها في حروب مستمرة مع مزاتة".[17] يتضح من هذا النص أن الجرمنت السكان الأصليين لمدينة جرمة في فزان، كانوا في حالة حرب مع مزاتة فربما طرد الجرمنتيين الذين قد يكونوا ذابو في القبائل المحلية، خصوصاً قبيلة الهوارة، بعد الفتح الإسلامي لفزان, كما ذكر اليعقوبي كذلك أنه بين زويلة وكاوار ثم ما يلي زويلة إلى طريق أوجله وإجدابيا قوم يقال لهم لمطة أشبه شيء بالبربر، وأهم أصحاب الدرق اللمطية البيضاء,[18]

فضلاً عن الفقهاء والعلماء الذين رافقوا الجيوش في فترة الفتوحات الإسلامية، وقد استقر كثير منهم في هذه المدينة. لا شك أحدث اختلاط وتصاهر مع سكان المنطقة الأصليين، بالإضافة إلى بعض العرب الذين فروا من الصراع المذهبي من المتشيعين لعلي - رضى الله عنه- , ولهذا نجد عناصر من الكوفة في زويلة، والمعروفة بولائها لآل البيت، ومنهم الشاعر دعبل الخزاعي الذي توفي بمدينة زويلة 246هـ[19]، الذي أكده الشاعر بكر بن حماد، الموت غادر دعبلا بزويلة، وبأرض برقة أحمد بن خصيب[20]. وكذلك من الأقوام التي جاءت إلى فزان من الصحراء إلى مناطق الشمالي الزنوج الذين جلبوا كرقيق سود عبر زويلة من بلاد السودان, وفق ما أشار إليه اليعقوبي " من كل من السودان والميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منها"[21].

المبحث الأول ــ الإدارة في زويلة حتى فترة مملكة بني الخطاب :

مدينة زويلة والفتح الإسلامي العربي : يبدو أنّه بعد فتح برقة رأى قادة الفتح الإسلامي أن فتح مناطق الداخل ومناطق الساحل من طرابلس معا فاتحة لدخول أفريقيا. فانطلقت الجيوش من برقة، وفي الوقت الذي كان عمر بن العاص يواصل مسيرته مع معظم الجيش نحو طرابلس سنة 22هـ/641م، لقد اتّجه عقبة بجيشه إلى فتح الواحات الداخلية في فزان [22]، ولعل السؤال المهم لماذا توجّه الفتح لزويلة ولم يتوجه لجرمة؟ ولماذا لم يهتم العرب بفتح جرمة والتقدم غرباً بفتح زويلة ؟ هل لأنّ زويلة تابعة لبرقة ومصر وجرمة التي تم فتحها مع قصر كاوار، تعتبر منطقة أخرى وهي في فزان وتمتد حتى كاوار؟ لعل من الأسباب الرئيسية التي جعلت الفتوحات الإسلامية تتجه في فترة مبكرة إلى زويلة وواحات فزان ، كانت مناطق فزان في تلك الفترة تتبع برقة ومرتبطة بها، كما تمثل واحات فزان جيوباً للمقاومة الأمر الذي لفت انتباه قادة الفتح في السيطرة على

أهم هذه الواحات لتكون قاعدة يتم من خلالها التوغل لفتح مناطق أخرى باعتبارها من أهم المراكز التي تتحكم في تجارة العبور.[23]

فتـــــــح زويلة : اتجه عقبة بن نافع نحو الجنوب على رأس جيش من المسلمين بفتح زويلة، ففتحها سنة 22هـ/641م وفرض على أهلها 360 رأس من الرقيق[24]. فقد ذكر البلاذري أنه: "كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يعلمه انه " قد ولى عقبه المغرب فبلغ زويلة ، وأن ما بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعهم، وقد أدّى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدتهم الجزية وأنّه قد وضع على أهل زويلة بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه"[25]. ، ويتضح لنا من هذا النص أن عقبة بن نافع قد فتح كافة المناطق أو الواحات الواقعة جنوب برقة حتى بلغ زويلة، التي كانت على صلة وعلاقة وطيدة ببرقة؛ لأنّها كانت من أهم المناطق الزراعية إنتاجا بينما كانت مدينة زويلة أحد أهم مدن فزان التي تعتبر منطقة تجارية بحكم اعتمادها على تجارة العبور، بحكم حاجتها المستمرة لما ينتج ببرقة ويستجلب من أسواق مصر، كانت تتأثر سلبياً وايجابياً بما يحدث في برقة[26]. أما عن الكيفية التي تم بها فتح زويلة وباقي المناطق الداخلية من فزان ، يبدو أنّها فتحت دون مقاومة تذكر خصوصاً بعد خضوع برقة ، أي : أنّها قد خضعت في أغلب الأحيان سلماً، وتم الاتفاق على دفع الجزية للمسلمين[27].

كما أنّ عقبة بن نافع قد راعى في مصالحته لأهل الواحات الظـــروف الاقتصادية لها حيث وضع على أهل زويلة ما رأى أنّهم يطيقونه ، ففرض جزية سنوية على مدينة زويلة وجرمة وودان، قدرت بحوالي 360 عبدا لكل مدينة. لا شك من هذه الأعداد المفروضة ساهمت بشكل فعال سواء أكان في دعم جيوش الفاتحين بهذا العدد أم خزينة الدولة في المركز، وخاصة وأنّ زويلة كانت تعتمد على ما يستجلب من بلاد السودان,[28] فقد كان لموقع زويلة على طرق القوافل ولأهميتها الاقتصادية جعلها أول عاصمة إسلامية في الصحراء، حيث أصبح التواصل مع فزان ومناطق ما وراء الصحراء، من خلالها وبين مصر في الشرق وبين شمال ليبيا وجنوبها، كما اتخذت قاعدة لفتح مناطق الصحراء الأخرى، قبل التوغل في بلاد المغرب، وقبل تأسيس مدينة القيروان سنة 50هـ[29].

الأوضاع الإدارية والسياسية لزويلة بعد الفتح: أصبحت زويلة من المناطق التي شهدت دخول الإسلام مبكراً على يد عقبة بن نافع سنة 22هـ-23هـ/642م-643م. ولعلّ الفترة التي أمضاها عقبة بن نافع بين برقة في شرق ليبيا وزويلة في الجنوب، حيث قام بتنظيم الإدارة ووضع الأسس لدولة الإسلام. برغم قلة المصادر التي يمكن أن تزودنا

بشيء عن جهوده في سبيل نشـــر الإسلام وترســـيخ الإدارة الإسلامية في ليبيا ، وكلّ ما تذكره يكاد ينحصر فيما قام به من فتوحات ، في الوقت الذي كان عقبة من أبرز قادة الفتح الإسلامي أو من أحرص الدعاة في الإسلام ، لقد كانت عقبة أول من نشر الإسلام في ربوع ليبيا وزويلة والصحراء، وكان له جهد مقدّر في أيام ولايته الأولى في نشر الإسلام من مصر حتى القيروان بأفريقيا تونس الحالية ، فقد ظل عقبة ما بين زويلة وبرقة ينظـــم الإدارة وينشر الإسلام,[30] مما جعل لزويلة وفزان مركزاً حيوياً، ظهرت أهمية دوره في نشر الإسلام ، وبعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ومع بداية عام 24هـ. لا شك أن هذا الحدث كان له الأثر السيء على سير الفتوحات وفي استتباب الأمن، وكذلك فقدان الثقة لتيسير الأمور بكافة مناطق ليبيا[31]. تشير بعض المصادر أنه في سنة 27هـ أرسل عبدالله بن سعد بن أبي السرح أخ الخليفة عثمان بن عفان والذي تولى الخلاقة بعد مقتل عمر بن الخطاب سنة 24هـ، وثم عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر كذلك عقبة بن نافع عزل عن برقة وزويلة، حيث أرسل عبدالله بن سعد بن أبي السرح حملة إلى طرابلس وأخرى إلى زويلة، وكانت تعرف بحملة الغنائم، لقد كانت الحملة التي اتجهت إلى زويلة مكونة من 1400 فارس من قبائل غنث وميدعان اليمنيتين، وهما من الأزد، ويقود كل حملة أحد أبناء العباس بن عبد المطلب، ويقود 700 فارس وعبدالرحمن يقود 700فارس، ومعهم من الصحابة أبو رمثة البلوي، والحارث بن حبيب، ذؤيب الهزلي[32]., ومن ثمّ توجه إلى جرمة وفتحها، واستمر حتى قصر خاور/ كاوار ثم رجع إلى زويلة ، عاد إلى معسكر بمعمداس (سرت ومنها توجه إلى فتح غدامس عام 49هـ/669م ، ومن غدامس إلى القيروان حيث بدأ في بناء المسجد منذ عام 50هـ/670م واستمر في جهاده حتى استشهد (بالجزائر بمدينة بسكرة) على يد الروم وكسيلة ملزم عام 63هـ/682م[33]. لقد أصبحت زويلة ومعظم مدن فزان منذ منتصف القرن الأول وحتى نهايته تدير شؤونها بنفسها، كما يظهر أن الأحوال السياسية في زويلة أحد جانب الاستقرار السياسي.

مدينة زويلة في عهد أسرة بن الخطاب حتى سقوطها على يد قراقوش: بعد انتشار الإسلام في المغرب وتوطيد جدور الحكم العربي حتى مشارف بلاد السودان الأوسط في ظل الخلفاء الراشدين وفي عام 41هـ/661م بظهور الدولة الأموية منذ القرن الأول الهجري، حدثت منازعات وخلافات سياسية ودينية بالمشرق بالدولة العربية الإسلامية وقد ظهر ما يعرف بالخوارج الذين انشقوا عن الخلافة الأمر الذي جعل الخلفاء يفقدون السيطرة على مناطق شمال أفريقيا، هذا وقد تعرضت طرابلس إلى الدمار من قبلهم سنة

141هـ/758م[34]، كما خضعت طرابلس وضواحيها وكذلك فزان إلى تعاليم الخوارج الإباضية[35] في جبل نفوسة[36] بطرابلس[37]. بعث الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قائده محمد بن الأشعث الخزاعي[38] بحملة ضد الإباضيين الذين كانوا تحت سيطرة إمام الاباضية في أفريقيا ، أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري[39]، وبعد أن التقى الجيشان في شرق طرابلس بمنطقة تاورغاء انهزمت قوات أبي الخطاب ، وقتل في المعركة عام 145هـ/762م، مما أضطرهم للنزوح إلى المناطق الداخلية (فزان) ، وقد تتبع محمد ابن الأشعث الخوارج بالقتل حتى بلغ ودان وزويلة [40] ، ونتيجة تلك الأحداث زحفت كثير من القبائل البربرية المعتنقة لمذهب الخوارج نحو الداخل إلى مناطق فزان[41]. أصبحت زويلة منذ تدخل ابن الأشعث فيها والقضاء على الإباضيين عام145هـ / 762م وحتى القرن الرابع هجري رغم قلة المصادر التاريخية عنها إلا انها تعد من أهم المراكز الحضارية بفزان ولها علاقاتها بمناطق جنوب الصحراء والمشرق حيث كان لها روابط ثقافية ودينية "بالعالم الأباضي" الذي عاش كثير من علمائه وطوائفه, في زويلة وغيرها من واحات فزان، بل كان يوجد بينهم من ذوى أصول فزانية منذ الفترة بين القرنيين الثامن والتاسع الميلاديين[42].يتضح من البيانات والمعلومات التي أوردها اليعقوبي، أنّ المدينة التي تقع شرقي فزان كانت مزدهرة وكبيرة على حدود السودان، سكانها أخلاط من المسلمين والبربر والعرب والعجم والسودانيين، واشتهرت هذه المدينة بتجارتها مع الشعوب المجاورة ومن أهم المحاصيل الزراعية المتواجدة بها النخل والذرة , ولعل من أسباب ازدهارها وتوافد أجناس من مختلف المناطق إليها يعود إلى تجارتها الرائجة، التي كانت بفضل موقعها المميز إضافة إلى كونها أصبحت حاضرة فزان بعد الفتح الإسلامي حيث تركزت بها معظم دواوين الدولة لاسيما الإدارية كما أن توفير المياه بها أدّى إلى توفر الزراعة التي يعتمد عليها سكانها كثيراً في الاعتماد الغذائي، وربما الغطاء النباتي ـ أيضا ـ كان له دور في توفر العلف الضروري للمواشي، لاسيما دواب التجار كما كان لموقعها المتميز الأثر الكبير، حيث أصبحت مركزاً مهماً وحلقة وصل لا غنى عنها للقوافل الخارجة أو الداخلة أو حتى العابرة لفزان[43]. ولقد وصفت زويلة من قبل البكري في القرن الخامس الهجري، قائلاً "هي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وأول بلاد السودان بها جامع، حمام، أسواق ويتجمع بها الرقاق من كل جهة منها ومنها يتفرق قاصدهم، وتشعب طرقهم وبها نخل وبساط للزرع وسقي الإبل[44]. يتضح مما ذكر أنّ زويلة ظلت في القرن الحادي عشر الميلادي، مزدهرة وتعج بالحركة والنشاط الاقتصادي ويعمها التجار من شتى

البقاع، فقد كانت زويلة على صلة مع كافة واحات فزان والمناطق الإفريقية، مما جعلها مركزاً للتجارة المستوردة من بلاد السودان، وملتقى للقوافل القادمة من وراء الصحراء مع باقي المناطق الليبية الأخرى مثل طرابلس وجادو وأوجله وجبل نفوسة [45]. غدت زويلة منذ منتصف القرن الثامن الميلادي قاعدة مملكة بن الخطاب المعافري، كما أنها ظلت حصناً إباضياً سيطرت على الطرق العابرة للصحراء. لقد تمكن أبي الخطاب من توطيد سيطرته بعد هزيمة القوات التي أرسلها ابن الأشعث حاكم مصر ، عمل ابن الأشعث على التدخل شخصياً مصحوباً بنخبة من القادة العرب العسكريين العرب وتم الاستيلاء على مدينة زويلة وقتل رئيس الإباضيين عبدالله بن حيان الأباضي غير أنّ المذهب الأباضي ظل متجذرا في المنطقة ، حيث كان كثير من العلماء الذين حفظت لنا المدونات الإباضية أسماءهم، واستمر الإباضيون في التركيز على تجارة السودان[46]. ويظهر أنّ أوضاع فزان ظلت مستقرة في فترة حكم بن الخطاب الأباضية الذين كانوا يتصفون بالتسامح، وعدم التزمت بتعاليم المذهب الأباضي[47]. فقد تطرق البكري: في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، للأوضاع السائدة في زويلة وفزان عامة فقال: " والعجيب أنّ هذا الخليط المكون من البربر والعرب والفرس وأهل فزان، قد استقروا في ظل الإسلام يمارسون تجارتهم[48]، هذا وقد اهتم سكان زويلة وباقي مناطق فزان بالحركة التجارية للقوافل الصحراوية باعتبار هذه المدينة معبر وحلقة وصل بين مناطق الشمال وما وراء الصحراء في نشر الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومن ثم طريق قوافل الحج التي تخترق أفريقيا من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق في طريقهم إلى الأراضي المقدسة، ولا شك في أن الحجاج كانوا يمارسون حرفة التجارة إلى جانب أدائهم لفريضة الحج وتنوع السلع التي يحملونها معهم[49]. في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ذكرها الإدريسي: حيث قال :"بناها عبدالله بن الخطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمه في 306هـ وهي منسوبة إلى هذا الرجل وبها اشتهر اسمها وهي الآن عامرة. قال ـ أيضا: "مدينة زويلة ابن الخطاب في الصحراء وهي مدينة صغيرة، وبها أسواق يدخل الجمل من بلاد السودان، وتشرب أهلها من آبار عذبة، وبها نخل كثير وثمرها حسن، المسافرون يأتونها من جهازها وجملة من أمور يحتاج إليها"[50]. أنشأت هذه الأسرة حكما شبه ملكية وكان حكمها بسيطاً يتكون الحاكم، ويعاونه مجلس من الفقهاء ورجال الدين، وكان الحكم فيها بمقتضى الشريعة الإسلامية، طبقا للمذهب الإباضية[51]. في هذا الجانب ذكر الرحالة فريدريك هورنمان، حتى وإن كانت في فترة متأخرة من هذه الدراسة، حيث قال: "

يطلق على زويلة بلد الشريف، ولكنها في سابق الأزمان كانت لها دور هام ويبدو أن محيطها السابق كان يبلغ ثلاثة أضعاف المحيط الحالي، وقد أخبرني بعض أقرباء الشريف أن زويلة كانت منذ قرون مقراً للسلاطين والملتقى العام للقوافل"[52]. كان الإباضيون في مدينة زويلة متسامحين إلى أبعد حد، إذ أنّهم سمحوا إقامة الحمامات، كما أنهم قد أقاموا مقابر لا زالت أطلالها قائمة إلى وقت قريب، وهي عبارة عن مبان مربعة كبيرة تعلوها سبع قباب، وهي عبارة عن مدافن لأمراء أسرة ابن الخطاب، ومما يدل على أهمية زويلة وازدهارها وتقدمها هو اكتشاف الدينار الذهبي، الذي صكت بدار الصك بها سنة 414هـ/1024م باسم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي،[53] فقد ظلت زويلة مملكة شبة مستقلة وتابعة إلى إقليم طرابلس الذي كان تحت النفوذ الفاطمي،[54] دولة بن زيري الصنهاجية, ودولة بن خرزون, ويبدو أن مدينة زويلة تابعة للنفوذ الفاطمي والتي يرى بعض أبنائها إلى يومنا هذا أنّهم من الفاطميين. فقد كان لهذه المدينة إسهاماتها في بناء القاهرة، وجامع الأزهر في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. حيث ارتحل كثير من أبناء زويلة الذين جاء ذكرهم مع جيوش جوهر الصقلي قائد الفاطميين الذي دخل مصر سنة 358هـ والمعروفين بجنود زويلة وإلى يومنا هذا ويوجد باب بالقاهرة بالقرب من جامع الأزهر يعرف بباب زويلة [55]. ويظهر أنهم كانوا مقيمين في هذه المنطقة، ويرجع تسمية الزويليين إلى أحد الأروقة الخاصة بهم. لم تكن زويلة بن الخطاب التي تقع في الصحراء منعزلة بل كانت لها علاقاتها وصلاتها مع كثير من الحواضر الإسلامية وبلاد السودان، ذلك لأنها تقع في مفترق طرق تربط بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وقد ازدادت هذه الصلات بعد انتشار الإسلام واللغة العربية، وازدهار التجارة والقوافل والحج كما كان يمر بها طريق البريد الذي يخرج من المشرق نحو المغرب قبل أن يتجه نحو الشمال، خاصة وأن الأراضي الليبية تمر بها العديد من الطرق ومنها الطريق الساحلي الذي يمر بمدن الساحل، وطريق الجنوبي الصحراوي الذي يمر بالواحات الداخلية، ويربط بين المشرق والمغرب[56], لقد ساهمت هذه المملكة في تكوين صلات وعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية بين فزان ومناطق السودان وغيرها من المناطق، وأصبحت زويلة تابعة للدولة الفاطمية، آمنة ومستقرة ومنتعشة، وذلك حتى منتصف القرن الحادي عشر، ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً، فسرعان ما قامت ثورة ضد الشيعة الفاطميين وأعادت الحكم للسنيين المواليين لبغداد في الفترة 398_ 454هـ / 1008_1062م. لقد ظلت زويلة مزدهرة وتعج بالحركة التجارية في منتصف القرن الخامس الهجري إلى أن

تعرضت لغارات القبائل العربية من بني هلال وبني سليم التي كان لها تأثيرها على مدينة زويلة، من كافة الجوانب, فقد ذكر الإدريسي: الذي زار المدينة في القرن الخامس الهجري حيث قال: "والعرب تجول في أرضها وتضر بأهلها قدر الطاقة، وكل الأرضيين الذي ذكرناها ملك بأيدي العرب[57]. أصبحت زويلة في أواخر القرن السادس الهجري، وحتى بداية القرن الثامن الهجري رغم قلة البيانات والمعلومات عنها، وكل ما ورد عنها عبارة عن إشارات وتلميحات في المصادر التاريخية والجغرافية، حيث أصبحت في تلك الفترة تعيش في فوضى واضطراب، حيث أزال قراقوش شرف الدين الذي كان أحد ضباط صلاح الدين الأيوبي[58] أسرة بني الخطاب حكام زويلة سنة 568هـ/ 1174م، وقد شهدت زويلة فترة من الاحتلال والخراب والدمار وتعرضت زويلة ومدن فزان لحكم من قبل قوة لا تريد الحكم ذاته بل سلامة قوافل الصحراء كسيطرة الكانميين[59] على فزان والجرمان[60] والطوارق[61].

المبحث الثاني ـ دور زويلة في النشاط التجاري بالمنطقة:

مدينـــة زويلة وتجارة القوافـــل : عند الحديث عن هذه المدينة خاصة في الجانب التجاري، قد تتساءل ماهي العوامل التي جعلت من مدينة زويلة أن يكون لها دور تجاري في منطقة فزان خلال العصر الوسيط، بما أن فزان تعتبر من الصحراء وأنّ الاتصال والتفاعل بين الصحراء والمناطق المجاورة لها كان ذلك منذ القدم إلى فترة ما قبل التاريخ، نتيجة للهجرات البشرية خاصة من الشرق إلى الغرب من آسيا إلى افريقيا، ومن جنوب غرب آسيا ووسطها إلى افريقيا وعبر الاتجاهين، لا يتم ذلك إلا عن طريق الصحراء. وبما أن الصحراء الليبية وفزان خاصة التي تمثل حلقة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب فأن ذلك يبين لنا إشارة عن دور فزان عبر العصور. مارست فزان التجارة في فترة مبكرة، وكان للجرمنت الدور الرئيسي، حيث كانت لهم علاقات تجارية مع جيرانهم القرطاجيين والمدن الثلاث(لبدة_ اويا_ صبراتة) وكذلك مع الرومان إلى جنوب البحر المتوسط[62], وكذلك كانت لهم علاقات تجارية مع الشرق في مصر والسودان(بلاد النوبة)، وكانت وسيلة النقل لديهم الحمير والعربات التي تجرها الخيول، أما في الجنوب فقد وصلوا إلى نهر النيجر وبحيرة تشاد ، وكانوا تجاراً يقودون القوافل التجارية ، ويسيطرون على طرق التجارة ويعرفون السبل الآمنة والقصيرة نسبياً، لعل حملة كارلنيوس بالبوس دليلاً على سيطرة الجرمنت على كل طرق القوافل المتجهة من الجنوب إلى الشمال مما دفع الرومان لإرسال هذه الحملة 19ق.م من أجل القضاء على الجرمنت[63].

وبعد الفتح العربي الإسلامي لإفريقيا ، حدث تغير جدري في تواصل فزان مع كافة المناطق المجاورة، منذ انطلاق عقبة بن نافع الذي أعاد السيطرة على فزان ، واتخذ من زويلة عاصمة له سنة 22هـ/642م ، ثم حملة ثانية 49هـ/669م إلى ودان ومنها جرمة ومن جرمة إلى النيجر حيث فتح قصور كاوار، هذا الفتح قد احدث نقلة نوعية في مفاهيم سكان الشرق، فقد ركّــز الولاة عن افريقيا ســـواء كان الغنائم المتمثلة في الكميات المفروضة من العبيد أو المال أو الذهب[64], إضافة إلى ظهور عامل مهم أسهم في ازدهار التجارة بين الشمال والجنوب ، وهو دخول الجمل منذ القرن الأول الميلادي ووصول الإسلام إلى هذه المناطق أدّى الى انتشار الأمن مما أدّى إلى ازدهار حركة القوافل بين الشمال والصحراء وجنوبها ومنذ ذلك الحين بدأت القوافل تسير إلى كافة مناطق الجوار عبر مسالك ومنافذ جرمة وزويلة ، ولقد ظلت هذه المسالك والطرق قائمة إلى أن جاء بعض الجغرافيين المسلمين وكتبوا عنها , فقد ذكر ابن حوقل : حيث قال: "الذي يبدأ من سجلماسة إلى أدوغست شهران وأدوغست إلى غانا بضعة عشر يومًا ، ومن غانا إلى كوغا نحو شهر ، ومن كوغا إلى ساما دون الشهر ، ومن ساما إلى كزم نحو الشهر ، ومن كزم إلى كوكو شهر ، ومن كوكو إلى مرندة شهر ومن مرندة إلى زويلة شهران ، ومن زويلة إلى إجدابيا شهر ، ومن زويلة إلى فزان خمسة عشر مرحلة ، ويقصد بها نهاية حدود فزان ، ومن فزان إلى زغاوة شهران"[65], كان لهذه الطرق التي تعبرها القوافل التجارية التي سادت بين طرفي الصحراء، دور كبير في النشاط التجاري في مدينة زويلة في العصور الوسطى ، وتحقيق التواصل بين الوسط العربي والأفريقي في تلك الفترة ، وقد اشتهرت في مسالكها كثير من المدن أطـــراف الصحراء ، ولا شك أن هذه الطرق والمسالك تنقســم إلى طرق فرعية والتي تربط زويلة بالمدن والواحات الليبية أما الطرق الرئيسية تربط المراكز الليبية مثل زويلة وغدامس وجرمة بمناطق ما وراء الصحراء ، عند الحديث عن هذه الطرق يتبادر للذهن تلقائياً عن إمكانية انسياب التجارة بين هذه البلدان، والعامل المشترك في عبورهم الصحراء ، والوسائل الكفيلة لمواجهة تلك البيئة القاسية من مواصلات واتصالات وفرة مياه ومدى سلامة وأمن الطرق من أجل عبور العديد من الجماعات من مختلف القبائل، من تجار وحجاج وخبراء وأدلاء أكفاء لتلك المناطق[66]، ولا شك أن ما جلب هذه العناصر إلى المدينة وسط الصحراء لما تتميز به من أنها من مناطق البعيدة وأكثر أمان ووفرة المياه وخصوبة التربة وكثر إنتاجها للحبوب ، وخاصة القمح والشعير والذرة البيضاء، وكثر النخيل في زويلة أدّى بالضرورة إلى صناعة الأوعية من سعف النخيل

لاستخدامها في أغراض متعدّدة هذا إلى جانب صناعة طحن الحبوب ، كما عرفت بالمصنوعات الجلدية ، فقد اشتهرت زويلة بجلودها، نتيجة لوفرة الثروة الحيوانية وغزارتها مما أدّى إلى تصنيع وبيع الجلود[67]. كما اشتهرت تسمية هذه الجلود على اسم المدينة ، وقد أشار إلى ذلك اليعقوبي [68] قائلاً : " من زويلة الجلود الزويلية"، لقد أصبحت زويلة في القرنين الثالث والرابع الهجرين في فترة حكم ابن الخطاب مركزاً للتجار العرب ؛ لأنها تمثل مدخل لبلاد السودان ، وملتقى طرق القوافل مما أسهم في ثراء هذه المدينة ، إضافة إلى مرور معدن الذهب عليها، لا شك أنه يستغل في صناعة (أو صياغة) الحلي الذهبية نظـــراً لتواجده بها، وهذا ما يؤكد لنا أن زويلة صكت الدنانير الذهبية بها عام 414هـ [69]. ومن الصناعات التي عرفتها هذه المدينة الدروع اللمطية والتي تنتسب صناعتها إلى اللمطيين اللمط نوع من الحيوان يسمى اللمط استخدمت جلوده دروعاً في تجهيزات الجيوش[70].

التجـارة الداخليـــــة: إن التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية سوى في زويلة أو مناطق بشمال افريقيا وجنوب الصحراء، خاصة وأن زويلة مركزاً تجارياً مهماً ومعبراً لمرور القوافل من كانم وبرنو إلى طرابلس وبرقة وبالعكس نالت هذه المدينة شُهْرة عظيمة باعتبارها مدخل بلاد الســودان الأوسط فكانت سوقاً لكافة منتوجاتها الزراعية والصناعية بالإضافة للسلع الواردة لها مثل الرقيق والمنسوجات والحيوانات ومحطة وملتقى القوافل التي تتجه منها إلى كافة الاتجاهات، وعند سرد التجارة في زويلة نجد أن هذه التجارة ذات اتجاهين: محلي ،وخارجي، محلي: هو ما يربط زويلة بالمنطقة الشرقية (برقة) والوسطى (سوكنه وودان وهون) وطرابلس وإفريقيا وشمال المغرب، وما يربط ذلك من طرق رئيسية وثانوية كثيرة: وقد أشارت لها مصادر الجغرافيين, أما الاتجاه الخارجي: هو التجارة مع بلاد السودان ومناطق جنوب الصحراء .

التجارية الخارجية: يتضح من خلال ما عرض حول النشاط التجاري انه توجد العديد من السلع يتم بها التبادل التجاري ومنها ما ينتج محلياً، وما يمر عبر مدينة زويلة كتجارة القوافل، وكانت تسمى تجارة العبور، فالتجارة الخارجية لزويلة كان لها نطاقها وطرقها ومدنها التي تصل أو تنطلق منها أو تمر بها، وخاصة ان التجارة الخارجية جرت في خطوط متقاطعة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب فقد كانت زويلة واغلب مدن فزان تقع في هذا التقاطع. لقد ازدهرت التجارة في زويلة وزادت أهميتها نتيجة وفرة السلع المعروضة في الأسواق[71], وكذلك وقوعها على طرق تجارية، اشتهرت زويلة بتصدير العديد من السلع المختلفة والمتنوعة إلى بلدان ما وراء الصحراء، وقد اختلفت

هذه السلع بين المحلية والأوربية، كما أنها تســتورد كل ما تحتاج إليه من سلع مختلفة عن تلك الدول سوى أن كانت للاستهلاك المحلي أو تصديرها إلى المشرق والشمال وعبر البحر, باعتبارها هذه المدينة حلقة وصل بين تلك السلع وأسواقها العالمية لمختلف البلدان. لقد أسهم تُجّار زويلة بن الخطاب من العرب والبربر المسلمين في تنشيط القوافل العابرة في العصور الوسطى وفي توفير احتياجات القوافل من جهة ومشاركتهم في القوافل بأموالهم التي كانوا يرافقونها أحيانا بأنفسهم أو عن طريق عملائهم أو وكلائهم في المناطق والمراكز الأخرى الذين يقومون نيابة عنهم بتصريف بضائعهم، أو مبادلتها بسلع أخرى[72]. ونتيجة لبعد المسافة بين المدن الليبية في الشمال والصحراء في الجنوب، وغيرها من المناطق الأخرى كان يراعى في نقل السلع المصدرة عدة اعتبارات ، وهو أن تكون هذه السلع سهلة الحمل فوق الجمال ولا تكن سريعة التلف وتتحمل مدة السفر، وكل ذلك متوقف على أن يكون الطلب على هذه السلع كبير في الأسواق ، لقد تعدّدت وتنوعت سوى باستجلاب (استيراد أو بإخراج (تصدير).

أولا ــ السلع المستوردة :

1. **الرقيـــــــق :** يعد من أهم السلع المستوردة من بلدان وراء الصحراء ، والتي كان لها مردود اقتصادي كبير فقد كان يتم عبر الطرق التجارية وكانت برنو تعتمد عليها واشتهرت مدينة زويلة بهذه التجارة والتي كانت لها علاقات وطيدة بتجار الزغاوة والبرنو وهؤلاء بدورهم يقومون بتصديره إلى البلدان الواقعة على الشمال ، وذلك بعد جلبهم من ديارهم عن طريق الأســر أو الشراء أو الغارات الحربية التي يشنونها على البلاد المجاورة[73]. فقد ذكر اليعقوبي : حيث قال: أن أهل زويلة يخــرجون الرقيق السودان من الزغاويين[74] والميريين والموريين ، وغيرهم من أجناس لقربهم منهم"[75]. أما الأصطخرى ذكر بأنّ "أكثر الخدم السوداني من بلاد السودان إلى زويلة ومنها يوزع إلى كافة المناطق الإسلامية[76].
2. **الذّهب:** وكان من السلع الهامة التي تأتي بها القوافل عبر زويلة وواحات الليبية الأخــرى مثل : غدامس ومنها إلى طرابلس عبر جادو وجبل نفوسة وكانت أغلب المعاملات التجارية تتم بين بلاد السودان ومناطق الشمال ، ويبدو أن زويلة لم تكن بعيدة عن مصادر الذهب هذا ما ورد في حديث الأصطخري عن مدينة سجلماسة حيث قال: (وسجلماسة قريبة من معدن الذهب ما بين أرض السودان وأرض زويلة)[77], مما جعل هذه المدينة مقصداً للتجار من جميع البلدان الإسلامية من أجل الحصول على هذا المعدن خاصة في بلاد المشرق وأوروبا.

3. **المـــلح:** الذي كان يرد إلى زويلة عبر القوافل القادمة من الشمال ، ومن مصر من بلدة حلوان، ويبادلونه بالذهب بسبب ندرته في بلادهم[78], وهكذا ازدهرت مدينة زويلة وغيرها من مدن الواحات فزان في تبادل البضائع بها بين إفريقيا السوداء والعالم الإسلامي والمسيحي[79]. فقد أصبحت زويلة الإباضية من خلال هذه التجارة ترتبط مع أغلب المدن والدول في الشمال الأفريقي وكذلك مع الشرق الإسلامي بالإضافة إلى علاقاتها مع مراكز ما وراء الصحراء مثل كانم وبرنو ، وخاصة وأنّ قبيلة هـــوارة كانت تقوم بدور الوسيط التجاري نتيجة احتراف هذه المهنة ولديها اتصال مع الدولة الرسمية في المغرب ، والتي هي الأخرى لها تجارتها مع بلاد السودان[80]، لا شك أن زويلة بن الخطاب لم تصنع عراقيل أو صعوبات في فزان أمام التجار من مختلف الأجناس وتعاملهم بكل لطف ولين لا شك أن هذا الأمر له الأثر الكبير في تقدم وازدهار التجارة بزويلة وفزان عامة وتكوين علاقات تجارية مهمة نتيجة التسامح وربط مراكز ما وراء الصحراء بالشمال والشرق والغرب ، وكان لها تأثيرها على كافة الجوانب ، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وهكذا ظلت مدن فزان ، وخاصة زويلة العاصمة الإسلامية الصحراوية الليبية سوقاً مفتوحاً محطة لأشهر السلع البضائع ، خاصة في فترة الازدهار الأباضي ومركزاً أساسياً لتوزيع البضائع ، ولعل الأمر الذي ساعد على ازدهار ونجاح الليبيين أنّهم تصاهروا مع السكان المحليين في أواسط أفريقيا وغربها فاصبحوا جزء لا يتجزأ منهم ، ومن ثم تحقّق لهم كثير من الضمانات التي هيأت لهم الإسهام في توسيع النشاطات التجارية بين زويلة وغيرها من المراكز التجارية بين الشمال والجنوب[81]، بل أعطت بُعداً اجتماعياً واتفاقياً بين تلك البلدان ، كما اهتم ملوك وحكام هذه المراكز بتأمين الطرق التجارية التي مثلت شرايين الحياة , لهذه المناطق في الشمال والجنوب، وخاصة وأن تجارة القوافل لم تخلوا من المخاطر رغم الأرباح التي كانت تدرها فالصحراء ، تعتبر مركزاً كبير لقطاع الطرق في غارتهم على القوافل ، وهنالك كثير من الوثائق تشير إلى بعض الحوادث التي تتعرض لها القوافل أثناء سيرها في الصحراء[82].

النُظم التجاريـــة : كانت تختلف أساليب وطرق التعامل التجاري في تجارة القوافل باختلاف المناطق والبلدان ونوعية السلع والبضائع المتداولة بين تلك المناطق[83]، فقد كان نظام المقايضة من الأنظمة المعمول بها بمدينة زويلة وكافة المدن الليبية وتعتبر من أولى نظم التعامل التجاري في تصريف البضائع دون الحاجة إلى النقود والمتداولة حيث يتم استبدال بضاعة أو سلعة معينة بما يقابلها من سلع أخرى[84], بازدياد نشـاط

الحركة التجارية وتضاعف أحجامها عرفت العملة في زويلة وغيرها من المدن وواحات فزان ومناطق السودان, وهي المثقال الذهبي التي تعامل بها التجار الليبيين مع الممالك، ما وراء الصحراء[85]، فقد ذكر حسن الوزان (أنّ الملح معدوم في دواخل بلاد السودان ، فمن الناس يغرر به ويصل به إلى أناس منهم يبذلون نظير كل صبره ملح مثلها من الذهب)[86], ومن العملات كان يتم التعامل بها بين التجار الليبيين في الشمال مع ممالك السودان كانم وبرنو، الودع ، يعد كنوع من أنواع العملة، فقد ذكر القلقشندي عن الودع كعملة يتعامل بها في بلاد السودان ومعترف بها، حيث قال : (إنّهم تعاملوا بالودع والخزف والنحاس المكسور، الورق ؛ لكنه جميعه تسعر بسعر القماش[87]، كما عرف التّجار وحدات الوزن التي استخدمت في وزن كثير من الأشياء المختلفة سوى في بلاد السودان أو في زويلة وباقي مدن فزان وغيرها من المناطق الليبية.

1- الرطل الذي يزن 12من الأوقية.

2- القفيز بست عشر ويبة[88].

أما بلاد السودان فقد استخدم المثقال الذي يساوي أربعة جرامات من الذهب والدراهم والدينار، فيما يتعلق بمكاييل فهي تستخدم لتقييم الجنوب ، ومنها المد الذي يساوي أربعة ألواح بجمع اليدين بالإضافة لقياسات كميل لقياس المسافات والذراع والشبر والقدم[89]، أمّا عن الأسعار المتداولة بين زويلة بفزان والمراكز التجارية التي تتعامل معها والمتجاورة ومتقاربة معها وفقد ظهرت العديد من العملات بعد فترة الدراسة سواء المغربية أو الحفصية والمملوكية ، وذلك تتجه ضخامة الحجم التجاري عبر الصحراء واستخدمت في العديد من الأسواق بهذه المراكز التجارية، حيث عثر على العديد منها يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الهجري.

المبحث الثالث ـ الدور الحضاري في مدينة زويلة :

لقد كان هناك تواصل بين مناطق وواحات فزان مع بلاد السودان ، منذ ما قبل دخول الإسلام للشمال الأفريقي ، أي : من أيام الجرمنت سكان فزّان القدماء, وباعتناق أهل فزّان الإسلام ودخول الإسلام إلى كانم وبرنو منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، أصبح من أهم عوامل انتشار الإسلام في منطقة السودان, ويبدو انه بحلول القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان الإسلام وصل السودان عبر كوار المسلمة ، وبعد الأحداث السياسية التي طرأت في بلاد المغرب ؛ إذ أن اعتناق البربر المذاهب الخارجية أدّى إلى نزوحهم إلى الصحراء وأطراف بلاد السودان ، لتفادي ملاحقة السلطات الحاكمة ، فاستقروا في بلاد زويلة أحد المراكز التجارية الهامة التي

ترتبط بمختلف المناطق والتي أدّت دوراً فعالاً وحاسماً في العلاقات والتواصل الحضاري باعتبارها قناة تتدفق من خلالها التأثيرات الإسلامية مبكّرة إلى مناطق جنوب الصحراء والعكس[90] , وقد تتساءل ما هي العوامل التي كان لها دور في نقل التأثيرات الإسلامية والتواصل الحضاري بين مناطق الشمال وجنوب الصحراء (بلاد السودان) عبر زويلة وغيرها من المدن الليبية الاخرى.

اولاَ ـ العامل الدينـــــي : لقد أسهمت عدّة وسائل في نشر الإســـلام والثقافة في السودان الاوسط والغربي منذ ظهور الإسلام في القــرن الأول الهجري/ السابع الميلادي مما زاد في توطيد علاقة العرب بالأفارقة أكثر من قبل ، حيث زحف العرب نحو الدّواخل في هجرات متتالية حاملين ما عليهم معهم إلى جانب تجارتهم دينا وعقيدة منحت لهذا التواصل معنى حضارياً وإنسانياً أكثر من ذي قبل هذا ، وقد دخل الإسلام بلاد السودان في وقت مبكر.[91] وكان دخوله إلى هذه المناطق حجر الأساس في تثبيت وتطوير الروابط القائمة بين مناطق العرب في الشمال ومناطق ما وراء الصحراء: وتعتبر مدينة زويلة بفزان أحد المداخل التي كان لها دوراً في نشر الإسلام في هذه المناطق، ونقل الكثير من المؤثرات الثقافية بمختلف أنواعها إلى دول الجوار، كما كان لها الفضل في تغير وتبدل من الأنماط الثقافية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، لا شك أن مدينة زويلة شهدت دخول الإسلام مبكراَ على يد عقبة بن نافع سنة 22هـ_23هـ، أصبحت مركزاَ حيوياَ ذات أهمية ليس في نشر الإسلام في المناطق المجاورة، بل بقيام ممالك إسلامية مثل كانم والبرنو ووداي تنبكتو وغانا ولاته وتكرور[92] ، وسيطرة الأباضية على زويلة النقطة الشمالية على طريق التجاري الهام بين ليبيا والسودان الأوسط فضلا عن تادمكة التي وأصبحت مركزاَ لنشاطهم في الصحراء الوسطى[93].من هنا يتضح لنا أن الخوارج قد وصلوا صوت الإسلام إلى بلاد السودان، وحيثما استقروا قام الأباضية بنشر الإسلام بين السودانيين، فقد وصل الدعاة والعلماء إلى كانم وبرنو في السودان الأوسط وأنّ الإسلام قد انتشر فيها بحكم اتصالها بفزان منذ فترة مكبرة على يد عقبة بن نافع، وقد ازداد انتشار الإسلام نتيجة جهود دولة بني الخطاب التي حكمت فزان منذ 306هـ/918م واتخذت من زويلة عاصمة لها على الرغم اعتناق كانم الإسلام إلا أنّها لم يصبح دين الدولة الرسمي إلا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث اندفع خلال هذه الفترة كثير من العلماء إلى بلاد السودان واستوطنوا فيها من التبادل والتعاون العلمي والديني والثقافي والذي كان له الأثر البالغ على تلك المجتمعات، سوى السودان الأوسط أو الغربي في نقل كثير من المؤثرات وهكذا

اصبحت مدينة زويلة المركز التجاري الأكثر أهمية في المنطقة آنداك بالإضافة إلى قدوم العديد من الجماعات الإسلامية المهاجرة والفارة من بطش العباسيين، فقد استقروا في زويلة وساهموا في نشر الإسلام في بلاد السودان[94]،

ثانياً ـ عامل التجارة : تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن وصول الإسلام إلى بلاد السودان، كان عن طريق العملية التجارية[95], فقد وصل وانتشر الإسلام في بعض الممالك السودانية التي تقع جنوب الصحراء، وقد اقترن ذلك بالحركة التجارية المتبادلة مع بلاد السودان، فضلاً عن هجرات بعض القبائل العربية الى هذه المناطق في فترات متفاوتة[96]. كانت التجارة بمدينة زويلة بفزان أحد القنوات الأولى التي انساب عبرها الإسلام إلى بلاد السودان، فبعد الفتح الإسلامي سرعان ما انتظمت التجارة العابرة للصحراء وسارت في طريق الازدهار، وذلك لإقتران الإسلام دائما بالتجارة كل ذلك هيأ للإسلام فرصة الذيوع والانتشار. وقد كان للتجارة دوراً هاماً في ربط الصلات ما بين العرب في المشرق وشمال أفريقيا وبين شعوب بلاد السودان الأوسط والغربي، بذكر توماس أرنولد: حيث قال :" إنّ التجارة والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا مرتبطان أعلى الارتباط "[97], يتضح من هذا النص أن للعرب المسلمين صلات مع بلاد ما وراء الحزام الصحراوي، وكان للتجار والحركة التجارية دوراً مميزاً في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى دول الجوار، وقد لعبت الطرق والمسالك التجارية والتجار الليبيين دوراً مميزاً في تجارة القوافل التي شهدتها الصحراء الكبرى، منذ وقت مبكراً عبر فزان[98]، لقد نشر التجار المسلمين الإسلام في أماكن التبادل التجاري التي وصلوا إليها إما بطريقة مباشرة من خلال ممارسة الدعوة إلى الإسلام، أو بطريقة غير مباشرة خلال تعاملهم واختلاطهم مع تجار غير مسلمين أو المتعاملين معهم من المستهلكين فيحثهم إلى الدين الإسلامي، من خلال سلوكهم من أمانة وصدق وإخلاص في العمل والتعامل والمظهر الحسن[99] ومجمل هذه الأشياء تركت آثاراً إيجابية في الأماكن التي ارتادها التجار ولقد لعب التجار دوراً رئيسياً في نشر الإسلام والثقافة في مناطق ما وراء الصحراء منذ توطيد الإسلام في شمال افريقيا، وأن التجار الذين جاءوا من المراكز الحضارية في فزان كمدينة زويلة وغدامس وودان ولم يقتصر نشاطهم على الجانب الاقتصادي فحسب بل قاموا بنشر اللغة وانشاء مجتمعات صغيرة متفرقة على طول الطرق التجارية على امتداد الساحل وبلاد السودان، مثلما كان حادثا في غانا وجاو[100].

الهجرات العربية: وفدت إلى مدينة زويلة بفـــزّان العديد من العناصر السكانية منها من استقر بها ومنها من واصل مسيرته إلى بــلاد السودان الغربي والأوسط، واستوطنوا في المُدن وحول أحواض الأنهار في المراعــي والسهول واندماجهم ومصاهرتهم لأهل البلاد، والذي له بالغ الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية وذلك امتثالاً لقوله - تعالى -: (**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَاب ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**).(101) ، والواقع أن جميع المراكز الحضارية بإقليم فزان ، والتي منها زويلة لم يقتصر دورها على أنها معبر لقوافل التجارة أو أفواج الحج ، بل كانت مناطق استقرار بشرى لحركة الجماعات والأفــراد سواء من المناطق الشمالية أو من المناطق التي تقع جنوب الصحراء، وقد أدّى هذا الاستقرار والاختلاط والتمازج في التأثير على (الفعاليات الاجتماعية) للسكان , فقد ذكر اليعقوبي :" فــزّان وودان وزويلة سكانها يتكـوّنون من أقــوام مختلفة ولهم رئيس يطاع ، ويدينهم وبين مزاته[102] حروب مستمرة [103] ,لا شك أن هذا النص يوضّح أن سكان فزان ، وخاصة زويلة بها قبائل مزاتة (أباضيون)، وكانوا يحجّــون من حاضرتهم زويلة، كما أنهم على اتصال ببلاد السودان ، ويجلبون الرقيق منها لقربها منهم ، كما يوجد بين سكان زويلة عناصر بشرية من المشرق ، ولعل موقع هذه المدينة التجاري كان له أثر في ذلك، فقد أصبحت زويلة وغيرها من مدن فــزّان بعد الفتح الإسلامي مقر لكثير من القادة والجنود الفاتحين في واحاتها ومدنها الصحراوية ، ويبدو في الغالب أنّ البعض منهم قد تزوج بالعنصر الأفريقي ، واختلط معه[104]، ذكر البكري –أيضا- أنّ ببلاد غانا قوما يُسمّوْن بالهينيهين من ذريــة الجيش الذي كان بنو أمية أخــذوه إلى غانا في صدر الإسلام، وسمي قوم منهم بالغامان [105]. كما أن هنالك العديد من القبائل كالطوارق التي لعبت دوراً كبيراً في التواصل الحضاري ، فقد كانوا عبر قــرون سادة بعض مدن فزان بلا منازع ، ويسيطرون على القوافل من طرابلس في الشمال إلى بلاد السّــودان الأوسط والغربي. وكذلك قبائل الملثمين ولمطة والتبو والهوارة .

الحـــــــج: أحد أهم قنوات الاتصال بين شتى مناطق العالم الإسلامي ، أما بالنسبة لسكان بلاد السودان، لم يكن الحج أداء الفريضة الدينية فحسب ، بل أنّه مناسبة للاتصال بمنابع الحضارة العربية الإسلامية، والوقوف على مدى ما توفره العبادة العملية، من خلال أداء مناسك الحج. من إحساس بالإخــوّة والمساواة والكمال الخلقي والسمو الروحي الذي يتحلّى به المسلمون حقا في الحج، فالحج كان ولا يزال ، يمثّل أقوى الروابط التي تربط الشعوب الإسلامية ، فقد زاد ارتباط شعوب ممالك السودان، بعد

انتشار الإسلام فيها ببلاد العرب وأصبحت قوافل الحــجّ المتجهة للأراضي المقدسة ، عبر زويلة وغيرها من المراكز التجارية الليبية[106]. فهي أحد الوسائل في نقل كثير من المؤثرات الاقتصادية والدينية والثقافية من وإلى بلاد السودان، فقد أسهمت في تبادل التجارة في المدن والمناطق التي تمر بها تلك القوافل كما أنّها قامت بنقل اللغة العربية وانتقال العلماء والدعاة والكتاب والمهندسين كالشاعر المهندس أبي إسحاق الساحلي ، بالرغم من أنّه في الفترة اللاحقة والمتأخرة عن فترة الدراسة، والذي أحضره منسي موسى وكلفه ببناء الجامع الكبير بمالي ، وقد أدخل البناء بالآجر في السودان الغربي[107]، وقد أصبحت هذه المؤثرات أكثر وضوحاً عندما أخذ حكام وسلاطين بلاد السودان الأوسط والغربي بتنظيم قوافل الحــج المتجهة سنويا إلى الأرض المقدسة ، وصار لقب الحاج من الألقاب التي يفضلها مايات كانم وبرنو وأمراء الهوسة ؛ وذلك بعد قيامهم بأداء فريضة الحج[108].

الخاتمـــــة والنتائـــج:

يتضح لنا من هذه الدراسة أن مدينة زويلة إحدى مدن منطقة فــزان في إقليم ليبيا، والتي شهدتْ ازدهاراً اقتصادياً وثقافياً بعد الفتح الإسلامي ، حتى سقوط بني الخطاب ووصلت إلى ذروة مجدها منذ وصول العرب المسلمين إليها وازدادت ازدهاراً وتقدماً من القــرن الأول الهجري وحتى السادس الهجري ، وخاصة في عهد مملكة بني الخطاب ، فعرفت لدى الشــرق العربي ومناطق الشمال أفريقيا والمغرب العربي ، كما ارتبطت بعلاقات حميمة مع بلاد السودان الأوسط ، وما توصلت إليه الدراسة جملة من النتائج بينها ما يلي:

1- عرفت مدينة زويلة بهذا الاسم قبل الفتح الإسلامي، وقد تميّزت بموقعها الجغرافي الذي جعلها حلقة وصل بين مدن فزان ومناطق الشمال وجنوب الصحراء.

2- برز الدور الحضاري لزويلة منذ أن فتحها عقبة بن نافع سنة 22هـ /642م، واتخاذها قاعدة لنشر الدّين الإسلامي في مناطق الجنوبية والغربية.

3- شهدت مدينة زويلة تطوراً عمرانياً منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط مملكة بني الخطاب ، وذلك نتيجة للتطورات التي حدثت في المشرق الإسلامي والمغرب العربي خلال فترة الدراسة والتي كان لها تأثير على مدينة زويلة.

4- انتزعت زويلة القيادة من مدينة جرمة الوثنية ، وأصبحت من أهم المراكز الدفاعية من أجل مواصلة الفتح الإسلامي وتصدي لقبائل المحلية.

5- إنّ دخول الإسلام إلى زويلة في فترة مبكرة ، ووصول العديد من القبائل العربية إليها؛ أسهم في زيادة حركة الاتصال والتواصل بين المناطق العربية في الشرق والشمال وبين مناطق جنوب الصحراء.

6- بما أنّ زويلة أحد مدن فزان والتي كانت معبراً ومركزاً تجارياً ، فقد كان سكانها خليط من الأجناس من قبائل محلية مثل : مزاتة ولواته وهوارة ، وقبائل عربية جاءت من المشرق وشبه الجزيرة العربية وبعض الأقليات المسيحية واليهودية وبعض الأجناس السودانية ، لا شك أن هذا الاستقرار لهذه العناصر ثقافاتها وقيمها الحضارية كان لها تأثيرها على زويلة ومناطق الدواخل.

7- أصبح لمدينة زويلة دور مُهم وبارز منذ الفتح الإسلامي ، خاصة في الجانب الاقتصادي والثقافي والحضاري باعتبارها مدخل لبلاد السودان ، حيث استقطبت هذه المدينة وغيرها من مناطق فزان العديد من العلماء والفقهاء ، الذين كان لهم دور بارز في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد السودان الأوسط عن طريق الحركة التجارية وتجار والهجرات البشرية إلى مناطق ما وراء الصحراء.

8- كانت الجوانب التجارية والثقافية من أهم تأثيرات زويلة في مناطق ما وراء الصحراء ، وذلك من خلال التبادل التجاري بين المناطق المجاورة ، حيث إنّ زويلة تقع في مفترق طـرق تمر بها رحلات قوافل الحج لأداء مناسك الحج ، حيث عملت على تقوية وربط الصلات في المجالات العلمية والدينية والاقتصادية على حد سواء، فقد كانت قوافل الحج تمر عبر زويلة وغيرها من مدن فزان لتزود بالماء والغذاء ، ولا شك أن المرور ترك إثارة على كافة الأصعدة بين تلك المناطق المجاورة.

الهوامـــــش:

_ القرآن الكريم

(1)- **مـــــرزق :** كانت حاضرة فزان في فترة حكم أولاد محمد الفاسي لفزان وسكانها خليط من كل أمم أفريقيا وغيرها ويتكلم أهلها العربية والبربرية والسودانية، ابن غلبون: التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بها الاخيار، ص 191.

(*) تمسة: وهذه البلدة التي تكون النقطة الأبعد نحو الشرق في فـــزان على المستوى من خطوط العرض، البكري : المسالك والممالك، ص659.

(2) سعيد علي حامد : زويلة في التاريخ، ص22.

(3)- البكري: المسالك والممالك، المصدر ,ص657.

(4)- ابن الأثير: تحفة في العجائب وطرفة الغرائب مخطوط، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، تحت رقم 299 ميكروفلم 4229 ورقة 166.، ميكرو فيلم رقم 4229 ورقة 166.

(5)- امراجع محمد: نمو المدن الصغيرة في ليبيا، ص121.

(6)- pling.nqt,v.s.

[7]- محمد سليمان أيوب مختصر تاريخ فزان، ص 89.
[8] -محمد سليمان ايوب: نفس المرجع ص88.
[9]-جرمة : هي تقع في وادي الحياة بإقليم فزان كانت عاصمة للمملكة الجرمنتية لسكان فزان القدماء، ظلت عاصمة من القرن الأول ميلادي وحتى القرن السابع، أي عندما جاء الفتح الاسلامي الى فزان سنة 922- 642م فقد أصبحت زويلة عاصمة فزان بدلا من جرمة الوثنية، محمد سليمان ايوب: مختصر تاريخ فزان, نفس المرجع, ص11 .
[10]-اليعقوبي: تاريخ البلدان، ،ص97.
[11]-محمد سليمان ايوب: مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق،ص89.
[12]-فريدريك هو رنمان، الرحلة من القاهرة إلى مـــرزق حاضرة فزان 1797م ,ص77.
[13]- اليعقوبي: تاريخ البلدان، المصدر السابق،ص12.
[14]-جمال الدين الديناصوري: جغرافية فزان، ص159.
[15]-Bovil: Golden trade of the moors, p200-201.
[16]- ودّان : إحـــدى قـــرى الواحات المسماة (الجفرة) تتوسط صحراء ليبيا فيها نخل كثير ، ويسكنها قوم أشراف ، وقد فتحها بسر بن أرطاه سنة 23هـــ/643م أرسله اليها عمر بن العاص ، ثم فتحها عقبة بن نافع عام 49هـــ/669م. الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص : 249.
[17]-اليعقوبي: تاريخ البلدان، ص346،345.
[18]-محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق, ص86.
[19]-ابن خلكان: وفيات الأعيان، وأبناء انباء الزمان، ص260.
[20] -البكري : أبو عبيد ابن العزيز بن محمد. الأندلس والمغرب في بـــلاد افريقيا، ص10.
[21] -اليعقوبي : تاريخ البلدان , المصدر السابق ، ص 98.
[22]-ابن عبد الحكيم: فتوح افريقية والأندلس، ص30.
[23]-البلاذري: فتوح البلدان، ص315-316.
[24]- ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، ترجمة البيروجاتو، الجزائر، 1947م.، ص53، 55.
[25]-البلاذري: فتوح البدان، المصدر السابق، ص 316،315.
[26]- محمود أحمد أبو صوة: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي،92,91.
[27]- البكري: في ذكر بلاد افريقيا، المصدر السابق ،ص10.
[28]- محمود أحمد أبو صوة: رؤية جديدة للفتح الاسلامي لليبيا، ص8.
[29]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص222-223.
[30]-خطاب محمود : قادة فتح المغرب ص135.
[31]-خطاب محمود: المرجع نفسه، ص136.
[32]-عبدالله بن محمد: رياض النفوس، ص8.
[33]-ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ، ص262.
[34]-هنري حبيب، ليبيا بين الماضي والحاضر، ص58.
[35]-**الإباضيـــــة :** هي عبارة عن فرقة تنتسب الى عبدالله بن أباض، وأول من نقل مبادئ الاباضية الى المغرب الأدنى هو سلمة بن سعيد الذي اتخذ من المنطقة ميدانا لنشاطه، وأكتسب أيضا لمذهبه في طرابلس وجبل نفوسة، وذلك منذ القرن الهجري ،وأصبح جبل نفوسة مقراً للمذهب الإباضي في بلاد المغرب بأكمله وانقسمت الإباضية الى مجموعة من الفرق منها الاباضية والوهبية، والنكارة والنفاتية، والخلفية والعمرية، والحسينية والغرنية ، والسكاكية ، عامر النجار: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج ص95.
[36]-جبل نفوسة: هو سلسلة جبال صخرية تمتد من الغرب إلى الشرق، وهو جزء من سلسلة جبال الأطلس التي تبدى بحر الظلمات وتمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس ، ويبتدئ جبل نفوسة من الغرب من غربي نالوت وينتهي بحدود غريان الشرقية ، وطول هذه المسافة 200كلم ، وكان جبل نفوسة ومازال إلى الآن موطن البربر ومحل إقامتهم الدائمة وممتلكاتهم الخاصة ، الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية، المرجع السابق، ص: 97.

(37)- إن نظرية الخوارج في الحكم في أكثر نظريات الحكم الاسلامية مبدأ لتطبيق مبدا الشورى ، فعلى خلاف السنة لا يقتصر أحقية الإمامة أو الخلافة على قريش ، أما العلويين فجعلوها في علي بن أبي طالب وأعقابه فيما نجد الإباضية قد أقروا أن يكون الإمام أو الخليفة من عامة المسلمين بشرط أن يكون ملما بكتاب الله وسنته ، الشهر الستاتي: الملل والنحل، ص135.

(38)-كان واليا على مصر حينما أرسله الخليفة لتهدئة الاحوال في المغرب بعد ان زال عنه نفود عبدالرحمن حبيب الفهري، ابن العذاري المراكش : البيان المغرب في الأخبار الأندلس والمغرب, ص72.

(39)- أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ،ص54،53.

(40)-الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص180.

(41)-Martin,BG;"kanem, bornu and Fazzan, p16.

(42)-جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ص250.

(43)- ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق, ص 97.

(44)- البكري: المسالك: والممالك، تحقيق : وتقديم اوريان فأن ليوفن ندري فيري، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، د.ت., ص11،10

(45)- إبراهيم مختار: تجار القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، ، ص59.

(46) - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص12.

(47) - محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور، المرجع السابق ص89.

(48) - البكري: المسالك والممالك، المصدر السابق ص10.

(49) - مصطفى عبد الله بعيو: دراسات في تاريخ العربي، ص184.

(50)- الادريس : نزهة عن كتاب ليبيا في الكتب الجغرافية في الرحلات، المصدر السابق، ص100.

(51)- محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق، ص90.

(52)- فريدريك هورنمان : من القاهرة إلى مرزق (1797-1798) رحلة ورسائل الألكسندر جوردون لبنج (1824-1826) ,ص98

(53)- سعيد علي حامد : زويلة في التاريخ، المرجع السابق، ص31.

(54)- الدولة الفاطمية : بدأت هذه الدولة بدعوة سرية في البداية وأول من شيع على ظهورها قبيلة كتامة المغربية بعد قدوم أبو عبدالله بن الحسن الشيعي عام -288 هـ فبايعه الشيحة بأرض المغرب وكان أولهم عبدالله الشيعي، فعظم أمر عبدالله وأخذ المغرب بأكمله بني مدينة المهدية عاصمة له سنة 303ه وبدأت بذلك الدولة الفاطمة بالمغرب حتى 358 هـ وهي السنة التي انتقلت فيها الدولة الفاطمية إلى مصر، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ص55-90.

(55) -محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق، ص90.

(56) -أدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص419.

(57) -الادريس: نزهة المشتاق، في اختراق الافاق , ص112.

(58) - صلاح الدين الأيوبي: السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبي الشعر أيوب بن شادي بن مروان الكردي أيوب، دعمه أسد الدين شركوه ، توجه سنة 590هـ إلى الشام ، وندب قراقـــوش التقوى لأحد بلاد المغرب . تقي الدين أبي العباس أحمد بن المقريزي : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ص233-235.

(59) –الكانميـــون : ويعرفون بالكانمبو وهم شعب سوداني أفريقي الأصل، وهم من الجماعات الطنجورية ، وهم عرب في الأصل ، ترجع أصولهم إلى بن هـــــلال ؛ ولكنهم اصبحوا أفارقة سودانيين مع الزمن ، وقد هاجروا بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من تونس إلى طرابلس إلى فزان ، ومن هنا تفرقوا فتوجه بعضهم إلى وداي، وبعضهم إلى كانم . حسين مونس: فزان ودورها في نشر الإسلام في افريقيا، ص80.

(60) –الخرمان : لا يزال يحاط الغموض حول أصل الخرمان أن كانوا عربا أم جنس من الأجناس الأفريقية غير أن محمد سليمان أيوب يـــرى أن تحريفا بسيطا في نطـــق الاسم قد حدث عفوا أو قصدا لتميز جرمة

المسيحية عن جرمة الإسلامية فسميت (جرمة) أي : إنهم السكان الأصليون لجرمة. محمد سليمان أيوب: جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ص237.

(61) -حسين مؤنس: فزان ودورها في نشر الاسلام في افريقيا, المرجع السابق، ص100.

(62) -محمد سليمان أيوب: جرمة في عهد ازدهارها، المرجع السابق، ص160-164.

(63) -جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، المرجع السابق،ص277-278.

(64) -ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق ص144.

(65) -ابن حوقل: ابي قاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض ، ص91-144.

(66) - ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي: ويكني بأبي عبد الله بن بطوطة (ت 779 هـ) رحلة ابن بطوطة (تحفة النطار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، تعليق وتقديم على المنتصر الكتاني، دار صعب مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ج2, 1979م. (تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الاسفار) ، ص776.

(67)-اليعقوبي: تاريخ البلدان، المصدر السابق , ص103.

(68) - اليعقوبي: تاريخ البلدان، المصدر السابق، ص345.

(69) - فرانسيس ليون: من طرابلس إلى فزان مذكرات الرحالة انجليزي ليون، 1818م ,ص209.

(70)- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمطار، ص214-حسن الوزان: وصف افريقيا، ص153.

(71) -صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة، نفس المرجع، ص 57.

(72)-المختار عثمان العفيفي: مدينة سوكنة، دراسة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية 1835-1911م ، ص111.

(73)-حسن الوزان: ليو الأفريقي: وصف افريقيا، ص554.

(74)- **الزّغاويـــون** : يبدو أن اســـم الزّغاوه هو فــرع الشمالي من التيين ، إلـــى التيداه من بين التسميات التي انحدرت من حــام إلى جانب الكرتيين والنويين والأحباش والبــربــر والزنوج ، تاديوز ليقيتسكي . دور الصحراء الكبرى في علاقات بين الشمال والجنوب تاريخ افريقيا عام من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر ، ص103، 327.

(75)-اليعقوبي : تاريخ البلدان، المصدر السابق، ص345.

(76)-الاصطخري: المسالك والممالك، ص40،44.

(77)-الاصطخري: المصدر نفسه، ص39.

(78)-جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص642.

(79) -رايت جون : تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، المرجع السابق، ص84.

(80) -السيد عبدالعزيز سالم: المغرب العربي الكبير، العصر الإسلامي، ص572.

(81)-صالح ابراهيم السيخلي : النشاطات التجارية العربية في الصحراء عبر الطريق الصحراوي الغربي من القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر , ص222.

(82)- أحمد سعيد الفيتوري : ليبيا وتجارة القوافل ,ص: 19.

(83) –القلقسندي : صبح الأعشي ، ج2، المصدر السابق،ص909.

(84) -مصطفى علي بسيوني: برنو في عهده الأسرة الكانمية، ص166,163.

(85)-محمد بن مسعود: تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، ص132، 137.

(86) -الحسن الوزان: وصف افريقيا، المصدر السابق، ص54.

(87) -القلقسندي: صبح الأعشي، ج5، المصدر السابق ص270.

(88) -القلقشندي: المصدر نفسه، ص109.

(89) -أمطير سعيد غيث: التأثير الإسلامي في السودان الغربي، ص152.

(90) Martin,BG."Kanem, Bornu Fazan, p18.

(91)-المسعودي :أبو عبدالله: مروج الذهب و المعادن، الجوهر، ص339.

(92) –البكري : المسالك والممالك، المصدر السابق، ص170.

(93) -مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص205،206.

94- -Abdullahi Smith the early states of the federal sudan in the history, p 174.

(95) -دائرة المعارف الإسلامية: م12، المرجع السابق،ص 337.
(96) - عثمان محمد فودي ، و تنبيه الإخوان عن أحوال أرض السودان، مخطوط، مكتبة الشيخ على كوماس، كانو، ورقة8.، كانو ورقة 8.
(97) -سيرتوماس وأرنولد: الدعوة الإسلامية، ص371، 376.
(98) -رايت جون: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، المرجع السابق،ص87.
(99) -توماس أرنولد: الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص391.
(100) -البكري: الممالك والمسالك، المصدر السابق,ص 175-183.
101 من سورة الروم، الآية:20.
(102) –مزاتة : من القبائل البربرية القوية والتي تدين بالمذهب الأباضي وسماهم جاك تيري بالمشاغبين، جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 206.
(103) –اليعقوبي :تاريخ البلدان، المصدر السابق، ص345،346
(104) -صالح الصادق السباتي: ممكلة كانم برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الأفريقي من القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجري، ص57.
(105) -البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، المصدر السابق، ص97.
(106) -حبيب وداعة الحسناوي: الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية، وأعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء. ص83.
(107) -أمين الطيبي: الحضارة الإسلامية وأثرها في السودان الغربي في القرون الوسطى وممالك غانا مالي سنغاي ,ص269.
(108) - ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد): (ت 808هـ) المقدمة، ط1, دار العلم بيروت، لبنان، 1978م.، ص219.